النظام آراؤه الكلامية والفلسفية

إعداد
حنان سالم منصور
المعيدة بكلية البنات

رسالة مقدمة

لقسم الفلسفة بكلية البنات (للآداب والعلوم والتربية)
جامعة عين شمس

للحصول على درجة ماجستير الفلسفة في الآداب
فلسفة إسلامية

١٨٩
ع. س

إشراف

الأستاذة الدكتورة / سهير فضل الله أبو وافية
أستاذ الفلسفة الإسلامية - بكلية البنات
جامعة عين شمس

١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

وَفَوْقَ كُلِّ ذِيْ عِلْمٍ عَلِيْمٌ

صَدَقَ اللّٰه العَظِيم

" سورة يوسف :آية رقم ٧٦

إهـــــداء

إلى روح والدي الذي شملني بالرعاية
منذ الصغر وكنت آمل أن
يكون معي اليوم ليرى ثمار غرسه .
ولكن شاء الله عز وجل أن يكون بجواره .
واليوم أهدي إلى روحه الطاهرة
هذا العمل لعلها تسعد به .

اســـم الطالـــــب : حنان سالم منصـــــور

عنوان الرسالـــــة : النظام آراؤه الكلامية والفلسفية

المشـــــــرف : الاستاذة الدكتورة/سهير فضل الله أبووافية

الوظيفـــــــة : استاذ الفلسفة الاسلامية ورئيس قسم الفلسفـــة

بكلية البنـــات عين شمـــس

المشرف
الوظيفة :
التوقيع :

التوقيـــع

يعتمد ،

رئيس مجلـس القســـم

التاريـــخ : ١٩ / ١٠ / ١٩٩٠م

دراسات السنـــــة التمهيديـــــــــة

- فلسفة اسلاميـــــــــة
- فلسفـــة يونانيـــــــــة
- فلسفة حديثـــــــــــة
- فلسفة معاصـــــــــرة

" شكر وتقديـــــــــــر "

في بداية هذا البحث لأملك الا كلمات الشكر والعرفان لاستاذتى الفاضلة الاستاذة الدكتورة / سهير فضل الله أبو وافية ، فقد شملتنى بتوجيهاتها القيمة ، وقد أعطتنى مـــن وقتها الكثير وأفاضت على من علمها الغزير وفتحت لى أبواب العلم والمعرفة فسهلت لى الصعب وذللت لى العقبات ، وانى لأرجو بما بذلت من الجهد أن أكون قد حققت شيئا مما كانـــت تأمله استاذتى فى البحـــث ٠

وأتقدم بالشكر والتقدير لكل من السادة الأساتذة الأجلاء أعضـاء لجنة المناقشـــة لتفضلهما بالاشتراك فى هذه المناقشة ، وكذلك أمى الحبيبة التى تحنو دائما على ولم تبخـل بأى شئ ٠٠

والى أخوتى الذين لم يتهاونوا بأى مساعدة معى ٠ وكذلك زوجى لما منحنى مـــن تشجيع وعون فى اتمام الرسالـــة ٠

وفى النهاية ، أتقدم بخالص الشكر والتقديـر لكل الذين تعاونوا معى وقدموا لـــى كل مساعدة ، وأطلب من الله عز وجل أن يكون هذا البحث عند حسن ظن الجميع ٠

ولله التوفيق ،،

الباحثة

مقدمة البحث

" بسم الله الرحمن الرحيم "

قال تعالى فى كتابه العزيز : "وان ليس للانسان الا ماسعى وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى "(١) صدق الله العظيم ٠

الحمد لله على هدايته ونسأله عز وجل العون والتوفيق ـ ونسأله أن يجزينا بقدر ماعملنا وقدمنا ، وأصلى وأسلم على نبيه المصطفى "صلى الله عليه وسلم " وبعد٠٠٠ فالذى دفعنى الى البحث فى موضوعى هذا ـ النظام كشخصية اسلامية تعد من الشخصيات الثرية فى تاريخ الفكر الاسلامى بما قدمه من مذهب فلسفى متكامل ـ لم يلق العناية الكافية من الباحثين كمثله من المفكرين والحق ـ يعتبر النظام علامة مميزة بين رجال المعتزلة ـ حيث كان له مدرسته ، وتلاميذه ـ وكانت مدرسة المعتزلة من أكبر المدارس الكلامية فى العالم الاسلامى ـ وأكبر تلامذته الجاحظ ٠

ولعلى أستطيع أن القى فى بحثى هذا بعض الضوء على النظام من خلال عرض آرائه الكلامية والفلسفية ، ومادام النظام أحد رجال المعتزلة ، فسنقارن بينه وبين المعتزلة لنرى مكانته بين رفاقه ٠

وكما هو معروف توجد فرق متعددة تعبر عن مختلف الاتجاهات الكلامية للمسلمين وهى : المعتزله ، والأشاعرة ،والظاهرية والماتريدية ، وأهل السلف ، ثم الشيعة والخوارج ٠

وعند حديثنا عن الفلسفة الاسلامية ، فاننا نعنى بذلك تلك الفلسفة التى نشأت وتطورت فى ظل الاسلام ، وارتبطت به بأنواع مختلفة من الارتباط : اما بالدفاع عن عقائده ، أو بالتفهم الدقيق لأحكامه الشرعية ، ومن هنا لا أحد يستطيع أن ينكر أن هناك فكرا فلسفيا اسلاميا ، وهناك مايسمى بالفلاسفة المسلمين أصحاب فكر واسع وثرى ٠

ومن الخطأ أن نقول أن الفلسفات تتشابه فى جوهر مذاهبها ،وانما العكس تماما أنها تختلف طبقا للبيئة الداخلية والخارجية ومشكلاتها لكل أمة على حده ، ولم تعد مسألة رد كل الفلسفات الى الفلسفة اليونانية ذات

---

(١) النجم / ٣٩ ، ٤١ ٠

أهمية • والدليل على ذلك أنه ليس هناك لليونان علم بالحكم على فاعل الكبيرة ،ولامايتصل بذات الله وصفاته ، ولابالنبوة ـ كل هذه الموضوعات قد انبثقت من ظروف خاصة في البيئة الاسلامية ، وتولدت عن مشكلات اسلامية : لقد أراد المسلمون أن يصوغوا معتقداتهم صياغة فكرية تمكنهم من مواجهة البلدان التى فتحها الاسلام ، ومن هنا نشأ علم الكلام ومشكلاته •

لقد استعان فلاسفة المسلمين بالفلسفة كسلاح يمكنهم من التفوق فى الجدل ،واقناع الآخرين من أجل نصرة الاسلام وانتشاره فى كل مكان ، ولكن ليس معنى هذا أنهم اعتنقوا فلسفة اليونان •

وسبب اختيارى لهذه الشخصية من تلك الفرقة يرجع الى أن المعتزلة نفسها تعتبر الممثل العقلى لعلم الكلام الاسلامى ، وعلم الكلام ، كما هو معروف ، علم اسلامى أصيل ، يدين بوجوده الى النص الدينى ذاته ، ومن هنا كان الاتجاه الكلامى هو أكثر اتجاهات الفلسفة الاسلامية أصالة •ولهذا كان اختيارى لأحد رجال المعتزلة الذين يمثلون أكثر الفرق الاسلامية اتجاها نحو العقل ، كما يمثلون فى الوقت نفسه ، أكثر الاتجاهات أصالة فىالفكر الفلسفى الاسلامى •

وكلمة المعتزلة قد اختلف الكثيرونعليها ، وقد أثارت كثيرا من المناقشات بين الباحثين • وفى الحقيقة فتوضيح أصل هذه الكلمة يكشف عنحقيقية المعتزلة أوالاعتزال وحقيقة فلسفتهم •

والمعتزلة طائفة من المتكلمين نشأت فى العصر الأموى ، ولكنها شغلت الفكر الاسلامى فى العصر العباسى زمنا طويلا • وأول مايصادفنا ،بصدد فرقة المعتزلة ، كثرة الكلام حول نشأتها ، وتعليل اطلاق اسم المعتزلة على رجالها ويردد كثير منالمؤرخين عديدا من الروايات المختلفة حول هذه النقطة ، منها على سبيل المثال لا الحصر : يقال وقع خلاف بين واصل بن عطاء واستاذه الحسن البصرى حول مسألة مرتكب الكبيرة، حيث قال واصل بن عطاء ان صاحب الكبيرة ليس مؤمنا مطلقا ، ولاكافرا مطلقا بل هو

فى منزلة بين المنزلتين ، لامؤمن ولاكافر ثم قام واعتزل مجلس الحسن البصرى ، وعندئذ قال البصرى اعتزل عنا واصل ، فسمى واصل وأصحابه بالمعتزلة .

وهناك رواية أخرى تنسب كلمة المعتزلة الى الأوضاع السياسية وذلك حينما رأى جماعة من المؤمنين أن أمر المسلمين ، بعد مقتل على رضى الله عنه ، قد أصبح فى يدى معاوية فلم يرضيهم ذلك ، وأصابتهم الحسرة على سلب الحق من أهله ، فزهدوا فى الحياة ، وابتعدوا عن المجتمع السياسى كلية ، واتجهوا الى العبادة والزهد ، ولكن مالبثوا أن عادوا الى الحياة السياسية ، والدينية نتيجة الظروف المحيطة بهم ، ومن هذا المجتمع المعتزلى خرجت المعتزلة .

ويقال ان المعتزلة أنفسهم الذين أطلقوا هذا اللقب وخرجت معهم عقائدهم الكلامية على رأسهم واصل بن عطاء .

ويتلخص مذهب المعتزلة كمايقول ابن الحسن الخياط فى كتابه الانتصار وليس أحد يستحق اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : " التوحيد ، والعدل ،والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فاذا أجمعت هذه الأصول فهو معتزلى " .

وقد ظهر مصطلح الأصول الخمسة فى مدرسة واصل بن عطاء ، وأتضح عند أبى الهذيل العلاف ، أما سبب وضع الأصول الخمسة عند المعتزلة فيرى الملطى " ان المعتزلة عشرون فرقة ، وهذه الفرق العشرون قد اجتمعت على أصول معينة لايفارقونها وعليها يتولون وبها يعادون "(١) .

ويقال أن هناك سببا آخر لوضع هذه الأصول ، وهو أن الفرق المعتزلية اختلفوا اختلافا كبيرا فيما بينهم ، فكان لابد من وجود أصول يتفقون عليها ،ولهذا وضعوا

---

(١) د.على سامى النشار : مدخل الى دراسة التفكير الفلسفى فى الاسلام، ص ٨٨ .

أصولهم الخمسة ، فأصبحت ملجأهم وتمسكوا بها وكانوا يجادلون عليها ، ويتبرأون ممـــن يخالفهم فيها .

أريد أن أقول ان أصالة المعتزلة كفرقة كلامية اسلامية تتضح وتتجلى فى أنهـــم قد التزموا بالعقل منهجا وبالأخلاق نسقا وكشف تفكيرهم ، فيما عالجوه من موضوعـــات مختلفة مثل : صلة الاله بالعالم والانسان ، وموقف الانسان من الله والعالم ــ ومصيـر الانسان ، قد كشف هذا التفكير عـن اتساق لاتهافت فيه .

لقد بقيت المعتزلة ممثلة للتفكير العقلى فى أوج ازدهارها الحضارة الاسلاميـــة. ومن هنا اتضح أهمية المعتزلة كفرقة اسلامية وتميزت عن غيرها من الفرق الأخرى فى جميع الجوانب ، وان كانت قـد اتفقت مع بعض الفرق فى بعض الجوانب الا أنها اختلفت عنهـا فى البعض الأخرىوذلك راجع الى تمسكهم بالعقل حيث هو الحكم فى جميع المسائل ســواء أكانت هذه المسائل دينية أو غيرها .

وأكتفى بهذا العرض عن المعتزلة كنبذة عامة عنها ــ وسوف تتضح جميع الجوانـــب من خلال عرض آراء النظام باعتباره أحد رجال المعتزلة ــ حيث كان صاحب مدرسة ولـــه تلاميذه وعلى رأسهم الجاحظ ، وله بصماته التى تجعله من اعلام المعتزلة ومن هنا كـــان ذا مكانه عاليه فى تاريخ الفكر الفلسفى ــ حيث نجد له المذهب الفلسفى الاسلامى الأصيل .

أما عن الدراسات السابقة التى تناولت النظام وفلسفته فقد سبقنى فىالاهتمـــام بالنظام الاستاذ الدكتور عبدالهادى أبوريدة فى دراسته عن النظام وآراوه الكلامية والفلسفيـة "صدر عام ١٩٤٥ م ،ثم أعاد طبع الكتاب سنة ١٩٨٩م وهو جهد طيب .

استفادت الباحثة من هذه الدراسة الى حد كبير ــ وحاولت جاهدة فى دراستهـا بالاضافة الى الدراسة السابقة أن تبرز قدرة النظام على استيعاب التيارات المعاصرة له ــ ورفض الدخيل على الفكر الاسلامى ــ الأمر الذى يجعلنا نؤكد على أن ابراهيم النظـــام

لم يكن يونانيا ، وانما كان على وعى بالفكر اليونانى ، وتمثل هذا فى استيعابه للتقسيمات اليونانية التى كانت غالبة على لغة العصر مع تقديمها فى مضمون اسلامى وهذه هى سمة المفكر المسلم بصفة عامة ، والنظام بصفة خاصة وهذا سوف يتبين من خلال البحث .

وقد قسمت بحثى هذا فى خمس فصول :

الفصل الأول : يتناول سيرة النظام ومصنفاته ، فقد رأيت أولا أن أعرض سيرة النظام وذلك من أجل ابراز العناصر الاسلامية فى تكوينه ـ وذلك من خلال عرض لبيئته الخاصة ،وعصره الذى عاش فيه بكل مايحمله من تيارات فكرية وسياسية واجتماعية من أجل بيان تكوين النظام الاسلامى ـ وهذا سوف يتضح من خلال مواقف متعددة ، وأيضا عرضت منهجه فى التفكير ـ ومدى التزام النظام بالشرع ، ، وفى الدفاع عن العقيدة ضد كل التيارات التى واجهته فى تلك المرحلة .

أما مصنفاته ـ فقد حرصت على عرض كل الكتب التى نسبت الى النظام وأن كل بعضها أوحرقت على أيدى معارضيه فى عصر ومن بعد مماته .

أما الفصل الثانى : نظرية المعرفة عند النظام . يتناول المعرفة عند النظام وأيضا الفرق بين المعرفة والعلم ـ ثم غاية المعرفة فى القرآن ، ومصادرها ـ من حس وعقل وقلب ـ وخبر منزل من قرآن وسنة ثم القياس والاجماع .

أما الفصل الثالث : وعنوانه " آراء النظام الكلامية ،وعرضت فى هذا الفصل بالتفصيل الأصول الخمسة عند المعتزلة عامة ، والنظام خاصة ،لنرى الى أى حد كان النظام متوافقا مع أصول المعتزلة ، ما انفرد به عن غيره من المعتزلة مما جعله صاحب مدرسة مستقلة لأن كل معتزلى لابد ان يكون ملما بتلك الأصول ، وذلك لأنها تبرز مكانة المفكر الاسلامى ، ومدى المامه بكل الجوانب الكلامية فجاء الفصل الى هذا النحو :

١ ـ التوحيد :

ويعتبر أبرز أصل عند المعتزلة ، لأنهم دافعوا عن الله ووحدته ضد

القائليـــــــــن بالتعدد، وقد استلزمت فكرة الوحدة تنزيه الله عن الجسمية والمكانية ، ولذلك ملخص عقيدتهم فى ذلك " ان الله تعالى واحد فى ذاته ولاقسيم له ، وواحـــــد فى صفاته الأزلية لانظير له ، وواحد فى أفعاله لاشريك له ،فلاقديم غير ذاته ولاقسيم له فى أفعاله ، ومحال وجودقديميـــن" وهذا هو التوحيد .

٢ ـ الثانى :العـدل :

دعى المعتزلة بأهل العدل والعدلية وهناك صلة بين التوحيد والعدل ـ لقد نزه المعتزلة الله فى أصل التوحيد عن صفات المخلوقين ، كذلك نزهوه فـــــى أصل العدل عن الظلم ، فالله عز وجل لايصدر عنه الا الخير .

٣ ـ الثالث : الوعد والوعيد :

يقول الشهرستانى : " انالمعتزلة قد اتفقوا على أن المؤمن اذا خرج مـــن الدنيا على طاعة وتوبه ، استحق الثواب والعوض . واذا خرج من غير توبة عـن كبيرة ارتكبها ، استحق الخلود فى النار ، ولكن عقابه يكون أخف من عقـــاب الكفار " وقد سمت المعتزلة هذا النمط وعدا ووعيدا (١) وترى المعتزلة أنالثواب والعقاب ينصب على أفعال الانسان لنفسه والتى قد يقتضيها العقل ، والعقل هو القوة المميزة بن الخير والشر أى أن الانسان هو فاعل أفعاله وعلى ذلك ماينالـه الانسان يناله باستحقاق منه . ونحن هنا أمام مذهب مطرد ومنسجم مع أصـول المعتزلة ـ فالله عز وجل وحده فى ذاته عادل ، والله جعل الانسان فىالكون يحمل مسئولية أخلاقية باختيار عقله فى كل فعل يفعله، ولاشأن لله عز وجل بها ومن هنا نستطيع أن نستخلص الحرية الانسانية التى دافـععنها المعتزلة .

٤ ـ الرابع : المنزلة بين المنزلتين :

ويعتبر هذا الأصل بداية تكوين المعتزلة ويتلخص فيما يلى :

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل جـ ١ ص٥٩ .

ان مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا وليس كافرا ، ولكن هو فى منزلة بين المنزلتين فهو فاسق — وقد دارت مناقشات كثيرة حول الكلمات الآتية : مؤمن ،فاسق ، كافر ، وأثارت الكثير من المنازعات بين طوائف المسلمين الأوائل ، فقدوضع الخوارج أصحاب الكبائر فى موضع الكافرين ويحق عليهم الموت ، أما أهل السنة اعتبروهم مؤمنين فاسقين ثم أتى المعتزلة بعد ذلك واعتبروا صاحب الكبيرة فاسق أى فى منزلة بين المنزلتين ، كما قلنا من قبل — هذا عن الأصل الرابع .

٥ — الخامس : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

ملخص هذا الأصل — أنه مبدأ أخلاقى أقره وسلم به معظم الطوائف الاسلامية ، وهو يدعو المسلمين بالجهاد فى سبيل الله عز وجل ، واقامة أحكام الدين على كل من خالف أوامره ونواهيه سواء كان مسلما أم كافرا .

تلك هى الأصول الخمسة عند المعتزلة والتى تكون مذهبا متناسقا متكاملا يرتبط كل أصل بالآخر ، التوحيد أساسها وأقيم العدل على التوحيد ، ومن العدل انبثق أصل الوعد والوعيد ، وتفرعت من تلك الأصول الثلاث المسائل الأخرى .

أما الفصل الرابع : فيشمل على آراء النظام الفلسفية وقد جاء هذا الفصل رداعلى ماقيل عن النظام واتهم بانه ليس له أى فلسفة ، وانما هو مردد ناقل عن فلسفة اليونان ولهذا سوف أعرض لآراء النظام الفلسفية لنبين مدى أصالته ، وقدرته على التفلسف اذ أنه ليس مردد لآراء غيره ، حقا اطلع النظام على فلسفة اليونان كمثل غيره من المتكلمين وذلك من أجل العلم والمعرفة وليس من أجل النقل ، وسوف يتضح لنا من خلال مواقف عديده ، ان للنظام فكرا اسلاميا خالصا نابعا من أصالته الاسلامية ،وموضوعات لم تكن عند اليونانيين اطلاقا ، ونحن هنا ليس بصدد الدفاع عن النظام .

وقد اشتمل هذا الفصل على الآتى :